أركان الإسلام ومبادئ الأخلاق

مع شهر ربيع الأول وهو شهر مولد الحبيب صلى الله عليه وسلم يجدر بنا أن نتعرف علي شخصية النبي صلى الله عليه وسلم لا أقول من الناحية الخلقية ولكن من الناحية الخُلقية، نتعرف علي أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم حتى نتأسى بها ونقتدي بها فنحن في أمس الحاجة إليها ولا سيما في مجتمعنا وزماننا هذا، وأخلاق الإنسان جزء من عمله من خلالها يؤجر عليها أو لا.

الأخلاق جوهر الرسالات:

من الحقائق التي اتفق عليها العقلاء أن جميع الرسل عليهم السلام قد اشتملت دعوتهم علي كلمتين:

الكلمة الأولي:

هي دعوة الناس إلى عبادة الله جل وعلا حيث يقول ربنا في سورة الأنبياء:{وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥} [الأنبياء: ٢٥].

الكلمة الثانية:

هو دعوتهم بالتحلي بالفضائل ومكارم الأخلاق فكأن الرسالات التي خطت مجراها في تاريخ الإنسانية، وبذل أصحابها جهدا كبيرا في مد شعاعها وجمع الناس حولها ومعرفة الله ثم بيان مكارم الأخلاق وتمامها.

والعبادات التي في الإسلام واعتبرت أركان في الإيمان به ليست

طقوسًا مبهمة من النوع الذي يربط الإنسان بالغيوب المشغولة، ويكلفه بأداء أعمال غامضة وحركات لا معني لها... كلا وإنما هي أشبه بتمارين متكررة لتعويد المرء أن يحيا بأخلاق صحيحة وأن يظل متمسكا بأهداب الفضيلة، مهما تغيرت أمامه الظروف وكثرت المشاق والصعاب

فإذا لم يستفد المرء منها ما يزكي قلبه ويهذب نفسه فقد هوي.

قال تعالى في سورة طه:{إِنَّهُۥ مَن يَأۡتِ رَبَّهُۥ مُجۡرِمٗا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ ٧٤} [طه: ٧٤].

ضعف الخلق دليل علي ضعف الإيمان:

الإيمان قوة عاصمة عن الدنيا، دافعة إلى المحرمات، ومن ثَمَّ فإن الله يدعو عباده إلى خير أو ينفرنهم من شر يجعل ذلك مقتضى الإيمان المستقر في قلوبهم.

فالرجل المعوج السلوك الذي يقترف الرذائل دون أن يعمل حساب لأحد. يقول فيه النبي صلى الله عليه وسلم كما روي الحاكم والطبراني:**"الحياء والإيمان قرناء جميعا فإذا رفع أحدهما رفع الآخر-**

ومن المعروف أن الخلق لا يتكون في النفس فجأة ولا يولد قويا ناضجا بل يتكون علي مكث وينضج علي مراحل وهذا سر ارتباطه بالنماء بأعمال متكررة والصلاة والزكاة وغيرها.

يقول الله تعالى:{لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ٤ ثُمَّ رَدَدۡنَٰهُ أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ ٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ ٦} [التين: ٤ - ٦].

والله فطر الناس جميعا علي كل ما هو خير لهم ثم تتغلب عليهم

الأهواء والفتن فيقع في براثن الرذيلة.

والإسلام يري: أن البيئة لها دورها الرئيسي والفعال والتأثير في تكوين الخلق إما إلى الأحسن أو إلى الأسوأ وليس أدل علي ذلك من قصه الرجل الذي قتل (تسعة وتسعين نفسا) [1].

يقول الإمام ابن القيم (الدين كله خلق فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الدين).

وعند الإمام أحمد في مسنده أن رجلا جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله (إن فلانة تذكر من كثرة صلاتها وصومها وصدقتها غير أنها تؤذي جيرانها بلسانها، قال:"**هي في النار**- وكذلك العكس أيضا، فالمفلس الحقيقي هو من يأتي بكثير من الطاعات والحسنات ولكنها تذهب في مهب الريح ويصبح بدلا من أن يكون له يكون عليه

دائرة الأخلاق تشمل الجميع.

سئل النبي صلى الله عليه وسلم : أي المؤمنين أكمل إيمانا؟ قال:"**أحسنهم خلقا**- رواه الطبراني.

وعند مالك في موطئه أن الرسول صلى الله عليه وسلم حدد الغاية من مبعثه فقال:"**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**-، فالإكراه علي الفضيلة لا يصنع الإنسان الفاضل، كما أن الإكراه علي الإيمان لا يصنع الإنسان المؤمن - فالحرية النفسية والعقلية أساس المسئولية، والإسلام مقدر هذه الحقيقة ويحترمها وهو يبني صرح الأخلاق.

(1) انظر الكبائر للذهبي.

يقول النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه جابر ابن عبد الله:**"إن من أحبكم وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحسانكم أخلاقا-**

وهذا ابن عمر ذبحت له شاة وله جار يهودي فقال هل أعطيتموه؟؟ فظل يلح في السؤال؟ فقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:**"ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه-**

موقف: وقد حدث أن يهودياً كان له دين علي النبي صلى الله عليه وسلم ، فجاء يتقاضاه قائلاً: إنكم يا بني عبد المطلب قوم مطل**!!** فرأي عمر بن الخطاب أن يؤدب هذا المتطاول علي مقام الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهم بسيفه، يبغي قتله لكن الرسول صلى الله عليه وسلم أسكت عمر قائلا:**"أنا وهو أولي منك بغير هذا، تأمره بحسن التقاضي، وتأمرني بحسن الأداء-**

وهكذا أمر الإسلام بالعدل ولو مع فاجر أو كافر وصدق الله حيث قال:{ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾} [الأحزاب: ٢١].

صدق النبي صلى الله عليه وسلم وأثره في بناء المجتمع المسلم:

كلمة الصدق من الكلمات التي تطرق السمع فيرتاح لها القلب، وتنشرح بها النفس، وتهفو إليها المشاعر، لذا نري أن الله خلق السماوات والأرض بالحق، وطلب من الناس أن يبنوا حياتهم علي الحق، فلا يعملون إلا حقا ولا يقولون إلا صدقا.

أولا: معني الصدق:

هو مطابقة الخبر للواقع أي مطابقة ما ينطق به اللسان، لما هو مستكن في القلب والوجدان. أما من قال بعكس ذلك فلا يكون صادقاً

بدليل أن المنافقين أظهروا خلاف ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال الله تبارك وتعالي:{إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾} [المنافقون: ١].

ويكفي الصدق شرفاً، أن الله وصف به ذاته العلية فقال:{ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ} [الأنعام: ١٤٦].

ووصف به نبيه فقال:{وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ} [الأحزاب: ٢٢].

وقال أيضا:{وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا} [النساء: ٨٧].

ووعد الصادقين ثواباً فقال:{لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ} [الأحزاب: ٨].

ثانياً: مظاهر الصدق في شخص النبي صلى الله عليه وسلم :

لقد أجمع كل من خالط النبي صلى الله عليه وسلم وعامله بأنه الصادق الأمين، يتجلي ذلك في عدة أمور منها:

- السيدة خديجة لم تجد ما تهدئ به روعه بعد نزول الوحي عليه في الغار بعد أن ذكرت له محامد الخصال وكان منها: (وتصدق الحديث).

- قريش أعلنت أنه صادق حينما جمعهم ليصدع له بالدعوة قالوا: ما جربنا عليك كذباً قط.

- لم يجرؤ أحد أن يصفه بالكذب وكانوا يقولون له ما أنت فينا بمكذب ولكن نكذب ما جئت به.

- لما سأل هرقل إمبراطور الروم أبا سفيان في ركب من قريش

بعد صلح الحديبية (هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال) ؟ قال: لا، وقال: ما كان ليدع الكذب علي الناس ويكذب علي رب الناس.

- (قصه الإفك): بعد أن اتهم في زوجه عائشة فقد كان من الممكن أن ينسب إلى السماء عكس ذلك لتبرئه زوجه.

- كثيراً ما كنت تعرض مشكلة ولم يكن عنده الحل فينتظر الوحي من السماء كمشكلة (الظهار).

ثالثا: الصدق منهج تربوي إسلامي:

يحيا الناس حياة طيبة وتعلوا الهمم والنفوس وتسير الحياة علي منهج الله رب العالمين بالصدق، وللصدق مظاهر عدة منها:

1 – في صدق الحديث:

فالمسلم إذا حدث فلا يحدث بالحق، وإذا تكلم لا يتكلم إلا صدقاً، قال صلى الله عليه وسلم :**"آية المنافق ثلاث، إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان-**، وقال أيضا:**"أنا زعيم** - أي كفيل - **ببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحا-**

2 – صدق المعاملة:

إذا عامل أحدا صدقه في معاملته فلا يغش ولا يخدع ولا يزور ولا يغرر بحال من الأحوال.

3 – صدق العزم:

فالمسلم إذا عزم علي فعل ما ينبغي فعله لا يتردد في ذلك بل يمض في عمله غير ملتفت إلى شئ أو مبال بآخر حتى ينجز عمله.

4- صدق الحال:

فالمسلم لا يظهر في غير مظهره ولا يظهر خلاف ما يبطنه فلا يلبس ثوب زور ولا يتكلف ما ليس فيه، وليس أدل علي ذلك من صدق الإمام البخاري في طلبه للحديث و وضوؤه وصلاته ركعتين لكل حديث.

5- الصدق في تربية الأولاد:

فالنبي صلى الله عليه وسلم يلفت أنظار الآباء والأمهات إلى غرس فضيلة الصدق في نفوس أزواجهم إذا ما نادي أحدهم علي ابنه كي يعطيه شيئا ولم يعطه فقال:**"أما إنك لو لم تعطه شيئا لكتبت عليك كذبة-** كما روي ذلك أبو داود في سننه.

6- الصدق في العبادة:

كن مخلصاً في عبادتك لله وإذا ما جلست في المسجد فاستغفر الله ولا تتكلم بغير ذكر الله فأنت في صلاة ما انتظرت الصلاة.

رابعاً: حثه صلى الله عليه وسلم علي الصدق:

روي مسلم في صحيحه أنه صلى الله عليه وسلم قال:**"إن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة وإن الرجل ليصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، وإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار وإن الرجل ليكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا-**، وقد أخبر أيضا فقال:**"كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثاً هو لك به مصدق وأنت له به كاذب-** وسئل صلى الله عليه وسلم : أيكون المؤمن جبانا؟ قال:**"نعم-**، أيكون بخيلاً؟ قال:**"نعم-**، قيل أيكون المؤمن كذاباً؟ قال:**"لا** ثم قرأ قول

الله تعالى:{ إِنَّمَا يَفْتَرِي ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾} [النحل: ١٠٥].

خامساً: للصدق ثمرات طيبة منها:

* راحة الضمير وطمأنينة النفس لقوله صلى الله عليه وسلم :"**الصدق طمأنينة**- رواه الترمذي.

* البركة في الكسب وزيادة الخير لقوله صلى الله عليه وسلم :"**البيعان بالخيار ما لم يتفرقا فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما، وإن كذبا محقت بركة بيعهما**-.

* الفوز بمنزلة الشهداء لقوله صلى الله عليه وسلم :"**من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات علي فراشه**-.

* النجاة من المكروه لقوله صلى الله عليه وسلم :"**الصدق منجاة**-، ولقوله:"**عليكم بالصدق وإن رأيتم فيه الهلكة فإن فيه النجاة**-، ولم يرخص النبي صلى الله عليه وسلم في الكذب إلا في ثلاث كما في الصحيحين من حديث أم كلثوم: لم أسمعه يرخص في شيء إلا في ثلاث (الحرب، الإصلاح بين الناس، حديث الرجل امرأته وحديث المرء زوجها) قيل: لأن الجيش حصن الأمة، والشقاق رأس المعصية، والنزاع بين الزوجين يعرض الأسرة للضياع وهي أساس المجتمع.

* * *